Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والـذي يخصّ مبحثنا في هذا المقام هو أن ابن خلدون قد صوّر بحسّ لسانيّ طريف كيفيّة نشوء ثبت العلوم ابتداء من رصيد اللغة القائم فعلا، وذلك بواسطة التحويل التواطئيّ الذي يرتكز على اشتقاق اقتران دلاليّ حادث من اقترانٍ سالف. ومن أوضح الأمثلة الخلدونيّة على هذه الظاهرة اللصيقة باللغة ما نستقرئه من ثبت اصطلاحيّ في علم الحديث يورده صاحب المقدّمة استدلالا على اكتساح العلم أجهزة اللغة بالتحويـل والتوليد؛ وممّا صاغه علماء الحديث بالوضع الاصطلاحيّ الطارىء طبقا للمراتب المنتظمة في فنهم «الصّحيح والحسن والضّعيف والمرسل والمنقطع والمعضول والشّاذ والغريب والمشكل والتصحيف والمفترق والمختلف» ولكنّ أطرف ما في استقراء ابن خلدون انتهاؤه إلى أنّ معرفة هذه الاصطلاحات هي ذاتها علم الحديث فيكون بذلك قد طابق بالتمام بين المعرفة وثبتها الاصطلاحيّ المحوّل عن وضعهْ الدّلاليّ المشترك إلى الوضع المعرفيّ الحادث (ص ٤٤١-٤٤٢).

* * *

وممّـا يبدو على حظّ وافر من البداهة أنّ إحكام ابن خلدون لنظريّة الاكتساب والتحصيل في شأن الظاهرة اللغويّة إنما جاء ثمرة من ثمار منحاه الاختباريّ ومنزعه إلى الاستقراء التجريبيّ، فقد نفذ بحسّ دقيق ـ كاد يتفرّد به ـ إلى مفاعلات الاكتساب اللغويّ متحسّسا قوام الظاهرة الكلاميّة انطلاقا من فكرة الملكة وملابستها التجريبيّة، وأوّل ما يتقرّر لديه في هذا المضمار أنّ الملكة في الحدث اللغويّ تستند إلى حصوله كلاًّ لا يتجزّأ، أي إنّ ممارسة الإنسان للغة بالملكة تنفي عنه أن يكون واعيا